الترشيح والتجريد في الاستعارات القرآنية

كلمة المفتاح [رشح]

البحث مستل من رسالة ماجستير

طالب الماجستير **أ. د**

غسان عبد خلف العبيدي **إياد عبد الودود عتمان الحمداني**

Ghassan812@yahoo.com **Metonymyman@yahoo.com**

جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

قيست البلاغة العربية على القرآن الكريم لما له من معانٍ ودلالات تُثري الفكر الإنساني بصور شتى لها في النفس أثرٌ خلاب؛ مما يحقق نوعا من ترابط الأفكار وتداعي الصور نحو غاية جمالية وتوصيلية لم يكن لكلام بشر أن يصل بما وصل إليه القرآن، وقد بحث الدرس النقدي العربي مبكرا عن شتى الأساليب البلاغية في القرآن الكريم ، فتمثل بأمثلة منها وقاس عليها بلاغة العرب؛ إلا أن البلاغة عندهم تحددت بقواعد ثابتة نأت بما جال به القرآن وابتعدت شوطا آخر عن مبتكراته وخفاياه، فهو الكتاب المعجز الذي أعجز العرب والعجم والذي سبق ببلاغته وعلمه الأولين والآخرين.

لقد توصل الأولون إلى أساليب من البلاغة والبيان، عللت روعة الفصاحة وجمال اللسان، فصنفوها وقسموا أنماطها وساقوا لها أمثلة من القرآن الكريم، ومنها ما اختص بنمط الاستعارة وهما (الترشيح والتجريد) اللذان ظهرا في كتب البلاغة الأولى؛ فخطى البحث عندي خطوة جريئة لتدبر أمثلة جديدة من القرآن الكريم مستندا إلى الرؤية الشمولية في الرصد بتوظيف الرصد السياقي للدلالة، بوصفها نوى دلالية ترشح الاستعارة أو تجردها بمفهومها البلاغي الذي أشار إليه القدماء، وهو ما أشرت إليه في التمهيد ثم سار البحث مقسماً الدراسة على مبحثين، حلل الأول منهما نماذج من الاستعارة المرشَّحة مستنداً إلى الدلالة اللفظية والسياقية، ثم الأثر الدلالي من جهة المعنى الذي جاء لأجله الترشيح، أما المبحث الثاني فقد رصد مثالين للتجريد اختص الأول منهما بالتحوّل الدلالي للتجريد على مستوى الجملة، وأختص الثاني بالتحوّل الدلالي على مستوى اللفظة، ثم توصل البحث إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج والمعطيات التي رصدها الباحث خلال مسيرته في تأملات النصوص القرآنية

التي ضمت الترشيح والتجريد؛ فهما عنصران فاعلان أسهما في التعبير القرآني، وشكّلا ملمحاً أسلوبياً فيه، وأسأل الله التوفيق والسداد.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين، أفصح الناطقين، محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وعلى من سار على نهجه واتبع خطاه إلى يوم الدين، أما بعد...

فقد لازم تطور الدراسات القرآنية في عصورها الأولى ظهور العديد من المصطلحات البلاغية التي أسهمت بشكل فاعل في التفسير على مستوى من البلاغة منقطع النظير، زيادة على إسهامها في التعبير، وقد كان لتلك المصطلحات حضور فاعل ومؤثر في الدرس العربي النقدي حتى يومنا الحاضر؛ وذلك لفاعليتها التوصيلية وقدرتها العالية على التصوير الذي يمثل اللبنة الأولى من لبنات البناء الفني في القرآن الكريم؛ لذلك فإننا نجد العديد من المشاهد القرآنية تقوم على عناصر بلاغية عدة منها: الترشيح، والتجريد، فهما من العناصر الداعمة للصور البلاغية وتداعياتها الحسيّة والمعنوية.

لقد حاول البحث استنطاق الصور القرآنية مستندا إلى المعاني وتداعياتها في الترشيح والتجريد، ومستنبطا الأفكار التي تولدها الاستعارات القرآنية على مستوى المشهد، وقد كان لزاما على البحث أن يعتمد القراءة النخبويّة في تحليله للأمثلة المنتقاة من القرآن الكريم، بطريقة يُحاول فيها البحث إعطاء تصوّر شمولي لنوعي الاستعارة المشار إليهما في العنوان وماهذا البحث إلا محاولة لإظهار ملمح أسلوبي فاعل في التعبير القرآني يُتمنى أن تتَّبعه دراسات أُخر أنضج منها، والله الموفق .

التمهيد

تنقسم الاستعارة إلى (مرشحة، ومجردة) وهذا التقسيم ليس باعتبار أحد أجزائها، أو باعتبار طرفيها، وإنما يكون باقترانها أو عدم اقترانها بما يلائم المستعار له أو المستعار منهُ فتُسمّى الاستعارة مرشَّحةً ((متى عُقبت بصفاتٍ أو تفريع كلام ملائم للمستعار منهُ))[١]، وتُسمى الاستعارة مجرَّدةً ((متى عُقبت بصفاتٍ ملائمةٍ للمستعار لهُ أو تفريع كلام ملائمٍ لهُ))[٢]، ويحفل القرآن بأمثلةٍ عدة من هذه الاستعارات التي تمثل عنصري الترشيح والتجريد اللذين يقوم كلٌ منهما بتهيئة صورة معينة خاصّة لتأدية الغرض الديني الذي يقصدهُ التعبير القرآني

ومن الترشيح قولهُ تعالى:﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٦] .

لقد شاعَ هذا المصطلح عند القدماء، وقد كان الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) قد ألمح إلى هذا النوع من المجاز، وإن لم يُسمّهِ مرشحاً، حيثُ قالَ في معرض تحليلهِ لهذه الآية: ((والمعنى أنهم استبدلوا الغيَّ بالرشاد، والكفرَ بالإيمان، فخسرت صفقتهم، ولم تربح تجارتهم ، وإنما أطلقَ – سبحانه – على أعمالهم اسم التجارة كما جاءَ في أول الكلام بلفظ الشرى تأليفاً لجواهر النظام، وملاحمةً بين أعضاء الكلام))[٣]، ثمَّ جاءَ الزمخشري (ت٥٣٨هـ) بعدهُ وأطلقَ التسمية صراحةً على هذا النوع من المجاز، وأسماه (المجاز المرشَّح)[٤]، وفصّل في شرح الآية وبيان معناها قائلاً: ((فإن قلت: هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة، كأنَّ ثمة مبايعةٌ على الحقيقة، قلت: هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تُساقَ كلمةٌ مساق المجاز، ثمَّ تُقفَّى بأشكالٍ لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسنَ منهُ ديباجةً وأكثرَ ماءً ورونقاً، وهو المجاز المرشَّح [...] لمّا ذكر – سبحانهُ – الشراء أتبعهُ ما يُشاكلهُ ويواخيهِ وما يكمل ويتم بانضمامهِ إليهِ)) [٥]، ليُعبّر هنا عن أنَّ اللفظة الاستعارية ذات بعدٍ ثانويٍ يتوغل في ((تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمهِ))[٦]، فالتعبير القرآني عندما يُمعنُ ويُبالغ في إرادة المعنى الأصلي للاستعارة فإنهُ يزيدُ مبالغةً في الكلام، فيذكر ما يتصل بالمعنى الحقيقي ويتلاءم معهُ، حتى أنَّ كلامهُ يكون حقيقةً بعينها ولا يخرجُ على مخرج التشبيه الذي تقومُ عليهِ الاستعارة، وهو المعنى الذي لاحظناهُ في الآية، فكأنَّ الضلالة والهُدى شيئانِ حسّيان تراهما العين ويشتريهما الإنسان، ويقع عليهما ما يقع على التاجر من ضروب التجارة وعوائدها ((وفي ذلك تقريبٌ وتأكيدٌ لبيان حال هذه التجارة الخاسرة التي تدلُّ على القصد والعمد في إقدام المنافقين على عقد هذه الصفقة الخاسرة))[٧]، واللفظة الاستعارية ضمن سياقها الذي جاءت فيه تؤكدُ أنهُ ثمة مبايعةٌ على الحقيقة قد وقعت، فعندما استُعيرَ الاشتراء لمعنى الاختيار والاستبدال فإنَّ تجارتهم هذه (ما ربحت) تقويةً للسياق الاستعاري وتوكيداً لهُ بصورة ذهنيّة لدى المتلقي، إذ إنها تُحرّكُ الحسَّ في استشعار اللفظة في سياقها.

ومن التجريد في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النحل: الآية ١١٢] .

وكان الزمخشري كذلك من أوائل من فصّل في شرح هذه الآية على أنها استعارة تتجرد من ملائمات المستعار منه، وذكر أن الإذاقة واللباس هما استعارتان وقعت الأولى على الثانية أي أنه لا تصحّ الإذاقة مع اللباس إلا أنه فصّل في بيان السبب بقوله: ((أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها، فيقولون ذاق فلان البؤس والضر، وأذاقه العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبَشَع. وأما اللباس فقد شُبه بهِ لاشتماله على اللابس [...] فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف))[٨]، ثم فصّل في شرحه لهذه الاستعارة وما شابهها من أمثلة الشعر عند العرب؛ فأثبت من خلالها أن النظرة هنا للمستعار له، ولو نظر إلى المستعار منه لقيل: فكساهم لباس الجوع والخوف[٩]، وهو بهذا بيِّن تجرد المستعار منه مما يلائمه ويقوي دعوى الاتحاد معه، غير أنه لم يسمِّ المصطلح صراحة حتى ذكره السكاكي (ت٦٢٦هـ) بقوله إن الاستعارة:((متى عقبت بصفات للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له سميت مجردة [...] ومثالها في التجريد أن تقول: ساورت أسدا شاكي السلاح طويل القناة صقيل العضب وجاورت بحراً ما أكثر علومه وما أجمعه للحقائق وما أوقفه على الدقائق))[١٠]، ثم تداول البلاغيون المصطلح على هذه الشاكلة وشخّصوا الأمثلة من حديث الأدباء وكلام الشعراء وما زادوا عليه شيئا في الشكل والمضمون.

المبحث الأول

– ترشيح الاشتراء وفاعلية الصيغة الصرفية :

ومن الترشيح في الاستعارات التصريحيّة قولهُ تعالى:﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة البقرة: الآية ٤١] .

فقد ((استُعيرَ الاشتراء هنا لاستبدال شيء بآخر دون تبايع)) [١١]، ثمَّ جيءَ بما يلائم الاشتراء تقوية للمعنى الحسيِّ، وزيادةً في تناسي التشبيه وهو(الثمن)، بمعنى أنهُ قد تمَّ بيعٌ وشراءٌ على الحقيقة وقد قُبضَ الثمن من المشتري، كما أن استعمال الاستعارة بصيغة (تشتروا) فيها دلالة على المبالغة والتأكيد في الشيء، إذ إنَّها تحيل على المبالغة والتكلف .

– الترشيح عنصر دلالي للوعيد:

ومن الترشيح كذلك قولهُ تعالى:﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [سورة البلد: الآية ١٠–١١] .

والنجدُ هي الأرض المرتفعة، وهي هنا استعارةٌ للخير والشرّ[١٢]، وأصل النجد: ((الأرض المرتفعة ارتفاعاً دون الجبل)) [١٣]، وهي استعارة مشهورة في الطريق المرتفع عند العرب، قال امرؤ القيس:

فَرِيقانِ منهمْ جازعٌ بطنَ نخلةٍ وآخرُ منهم قاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[١٤]

واستعارة النجد رُشحت في صورة الطريق الصعبة الولوج؛((لأنَّ العقبة الطريق الوعر في الجبل وفي البحر وهي ما صعُبَ منهُ وكان صعوداً)) [١٥]، واقتحامها ترشيحٌ للاستعارة ، والصورة الحسيِّة في (العقبة) أثْرَت السياق التعبيري بمستوى آخر من الإيحاء الذي يحوّل الملائمات في السياق الاستعاري إلى دلالات للتحوّل المجازي، وقد ارتبط الحسُّ هنا بطبيعة الذات الإنسانية والبيئة التي وُجِّهَ الخطابُ القرآنيُّ إليها بوصفها مصدراً لتحريك الصورة الذهنيّة لدى الإنسان، وهذا ملمحٌ أسلوبيٌّ من ملامح الاستعارات القرآنية، فهو يوظِّفُ العُنصر الحسي لغاية بلاغيّة تصبُّ في الغرض الديني، فذكرُ إقحام العقبةِ ((بعد النجدين جعل الاستعارة في الذروة العُليا من البلاغة والمُراد ذمُّ المحدث عنهُ بأنهُ مُقصّرٌ مع ما أنعمَ الله تعالى بهِ عليهِ من النعم العِظام والأيادي الجليلة الجسام، كأنّهُ قيل: فقصَّرَ ولم يشكر تلك النعم العظيمة والأيادي الجسيمة بفعل الأعمال الصالحة، بل غمط النعمة وكفرَ بالمنعم واتبع هوى نفسهِ)) [١٦]، فكان الإقحام من ملائمات المستعار لهُ، وهي شدَّةَ الولوج وصعوبته في طريقٍ وعرةٍ في جبلٍ عالٍ مرتفع لا يُدرَكُ إلا بصعوبةٍ ومشقة، وهذه هي صورة الجاحد الذي يكفرُ بنعمِ الله تعالى وفضلهِ، والصورة الترشيحيّة في الآية الثانية توحي بالوعيد لمن لم يسلك طريق الهداية، إذ إنَّ استعارة العقبة التي جاءت بمنزلة الترشيح للنجدين تُحيلُنا على المعنى النفسي الذي يصفُها بأنها زيادةٌ في العذاب لمن حادَ عن الطريق القويم، وقد اختُلِفَ في العقبة هذه فقيل هي جبلٌ في جهنم، وقيل إنَّ للنار عقبةً دون الجسر وقيل إنها درجاتٌ في جهنم[١٧]، فهي استعارة لصورة من صور العذاب التي ترشِّحُ الصورة في السياق التعبيري المتوالي للمشهد، وقد مثّل الترشيح مركز الاستقطاب الدلالي لصورة الوعيد .

- أثر الترشيح في التحوّل الدلالي على مستوى المشهد :

في مشهد تصويري من مشاهد يوم القيامة و((في معرض التشبيه يظهر الكافرون المعرضون عن الحق منهارين فاقدين الإرادة وإمكان المواجهة)) [١٨]، إذ يصفهم الله تعالى في قولهِ:﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ(١١)﴾ [سورة القارعة: الآية ١-١١] .

فالناسُ كالفراش المنتشر في كل الجهات في إشارةٍ إلى الفزع والاختلاف فيما بينهم في الكثرة والمقاصد، والجبال لشدة الهول وعِظَم المصيبة كالصوف المنفوش بألوان عدّةٍ في إشارةٍ إلى أثر الواقعة بالجبال فكيف بالإنسان[١٩]، ثمَّ جاء اللفظ الاستعاري في سياق التعبير القرآني ليصوّر لنا حالَ ثُقل الموازين وخفتها بصورة تُرشّحُ السياق العام للصورة وتزيدهُ قوة وإبغالاً في مستوى التخييل على أنّ الخفة في الموازين من ملائمات الفَراش والعهن، وكذلك الثقلُ فهو من ملائمات الجبال، والمعنى العام للصورة الاستعارية يُحيل على أنَّ موازين الكافرين لا تساوي بالمقياس النسبي ثُقل الفَراش والصوف المنفوش أمام الجبال، وأما موازين المؤمنين فإنَّ فيها أعمالاً يحسبُها غيرهم قليلة، ولكنها تعدل ثُقل الجبال في ميزان القيامة أمام الله، والتعبير القرآني في نهاية هذا المشهد يصف هذه الصورة ويصورها أدقَّ تصوير، فمن ربحت كفتهُ وثقُلت في الميزان فهو في عيشةٍ (راضية) أي مرضيّةً منعّمة، ومن خفت موازينهُ فأمهُ هاوية وأُختلف في لفظ (أمهّ) على وجوه عدّة[٢٠]، فقيل بأنها اسمٌ من أسماء النار، وقيل إنها الأمُّ حقيقيةً، وقيل أنها أمُّ رأسهِ، وأيّاً كان الأصح من المعاني الثلاثة، فهي تعني بهِ الهلاك والدمار وعاقبة المآل، فقد خسرّ ذلك الخُسران المبين ولا وزن لهُ عند الله، قال تعالى:﴿أُولئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً﴾ [سورة الكهف: الآية ١٠٥] .

لقد حرص التعبير القرآني على تصوير المشهد وتمثيلهِ بأشياء دنيويّة، كما وصف ((المشاهد الأُخرويّة ومصائر الناجين والخاسرين بأوصاف الحياة الدنيا، مما يوحي أنّ ذلك من قبيل التمثيل والتقريب، وهذه إحدى طرائقُ إعجازه)) [٢١].

وكذلك في أحد مشاهد القيامة الذي يُكنّي((عن هيمنة الله وقدرتِهِ في يوم القيامة))[٢٢] تتواشج الأنماط البيانية في تصوير خلق السموات والأرض وإعادتها إلى أصلها في الخلق الأول بعد خلخلة النظام وزوال الأجرام.

قال تعالى:﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٤] .

يبدأ المشهد في استعارة الطي التي حُذف فيها المستعار منه وهو الورق وجيء بلازمٍ من لوازمهِ وهو الطي على سبيل الاستعارة المكنية، ثمَّ جاء التشبيه ليُعبّر عن طي السماء كما تطوى الكتب، أو كما يطويها السجل، وهو الكاتب الذي يكتب الصحيفة ثمَّ يطويها على رأي أكثر المفسرين[٢٣]، وكانت الجملة ((كما بدأنا أول خلقٍ نُعيدهُ)) بمنزلة الترشيح الذي أحدث تكاملاً في الصورة الذهنيّة لدى المتلقي، فالمخاطبُ لم يرَ العدم قبل الخلق، كما إنهُ لم يرَ طي السماء يوم القيامة، إلا أنَّ الصورة التشبيهية الذهنيّة التي تصور استبداله العقلي بالحسي تصفُ لنا الهول والشدة في تلك المشاهد باستعارة طي الكتاب، فجاءت الصورة التي أدتها العبارةُ على القطع لتهيئة الشروع في جملة الإنذار المتضمن معنى الوعيد للكافرين ((الذي يرتبط بانتهاء وقت تصحيح الأخطاء التي ارتكبها المرء، ولا عودة لهذا (السجل) ليُسجِّلَ أو ليُسجَّلَ فيهِ)) [٢٤].

يمكن إجراء التكامل الترشيحي ضمن السياق التعبيري على مستويين هما انتهاء الخلق وطيّ السماء، وبدء الخلق وبداية نشر السجل، ثم جاءت نهاية المشهد بجملة الوعيد لتُعطي خصوصيّةً في الأداء لما قبلها، والصورة الاستعارية لطي السماء توحي بانتهاء عمل الحياة الدنيا، وصورة طي السجل توحي ((بأنَّ وقت العمل قد انتهى وانتفى الغرض من هذا "السجل"))[٢٥]، واختيار لفظ السماء بوصفها بؤرة الصورة ومركز استقطابٍ دلالي ذي خصوصيّة في سياق التعبير الاستعاري، إذ إن الصورة المتشكلة داخل نفسيّة الإنسان عن الحياة الدنيا لا تتجاوز حدود السماء، فهو لا يعرفُ ما خلفها ولا يتصور ما بعدها، وإنما صورة السماء هي أكثرُ دلالة لديه عن حدود الحياة الدنيا! ولذلك فإنَّ بؤرة المشهد التي نحاول استنطاقها تتركز حول صورة السماء المطويَّة بوصفها أكبر المظاهر الكونية التي يألفُها الإنسان، بل إنها صورة محسوسة مألوفة يراها الإنسان ويستشعرُ بعظمتها جبروت الخالق وقوته جلَّ وعلا، فناسب بذلك زوالَ السماءِ زوال الحياة الدنيا وفنائِها.

المبحث الثاني

– التحوّل الدلالي للتجريد على مستوى اللفظة :

في معرض تصوير الحق تباركَ وتعالى للأرض وتسخير ما فيها من نعم للإنسان يظهر التجريد شاخصاً في قولهِ تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [سورة الملك: الآية ١٥] .

فاستعارة الذلول للأرض جاءت لتصوير تذليل الانتفاع بها تشبيهاً بالدابة المسوسة المرتاضة بعد الصعوبة، فجيء بالمناكب تجريداً للاستعارة على صيغة الجمع، ذلك أنَّ الدابة الذلول لها منكبان فقط والأرض لها متسعاتٌ كثيرة، والصورة تتضمّن زيادةً في تخييل الاستعارة لزيادة بيان تسخير الأرض للناس[٢٦]، ولو أُخذ المعنى على السياق التعبيري لجاءَ مغايراً، فقد يكون المقصود بالمناكب – والله أعلم – المنكبين من باب إطلاق الجمع على المثنى كما في قولهِ تعالى:﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فُصِّلَت: الآية ١١] ، ((وإنما وقع الجمعُ موقع التثنية مجازاً أو لأنَّ التثنية جمعٌ وأقلُّ الجمع اثنان))[٢٧]، فيكون المقصود بالمناكب، مناكب الدابة فيتحقق عندئذٍ ترشيحُ الاستعارة (استعارة الدابّة)، ممّا يولِّدُ لدى المتلقي حالةً من التخلخل الدلالي، الذي يوحي للمتلقي بمعنى آخر ومغاير كلما قُرأ النص من جديد؛ فيزيدُ المعنى كثافةً في التصوير وقوةً في إيحاءات التعبير القرآني.

– التحوّل الدلالي للتجريد على مستوى الجملة :

ومن التجريد الذي لحق التجارة في قولهِ تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الصف: الآية ١٠] .

فقد استُعيرت التجارة للعمل الصالح للمشابهة في طلب النفع من ذلك العمل، ثمَّ جاءت الجملة (تنجيكم من عذابٍ أليم) في سياق التعبير القرآني لتُجرِّدَ الاستعارة من خصائصها[٢٨]، إذ إن النجاة من العذاب الأليم هي من ملائمات المستعار لهُ وهو العمل الصالحُ أو(الإيمان)، وإنما المشهدُ تصويرٌ للمعنى الذهني وزيادةً في تفصيلات الصورة الحسيِّة، إذ تعتمد الصورة الإثارة والتشويق من خلال النداء، يعقِبُهُ الاستفهام المشوِّق للجواب بصورة التجارة الرابحة، وتوظيف الصورة بمجملها يُحقق الغرض الديني الذي تهدفُ إليه الاستعارات القرآنية ضمن السياق التعبيري الذي يوظِّفُ الترشيح والتجريد للفظة الواحدة في

بعض المواطن من القرآن الكريم، كما تبدو الصورة في هذا المشهد، ولو أراد الترشيح لقال: تجنبكم الخسران؛ لأنَّ الترشيح أبلغ في سياقه، وكذلك التجريد.

النتائج والتوصيات

تعتمد النصوص القرآنية عدداً من الأنماط البيانية لتقريب الصورة في ذهن المتلقي، وترتكز هذه الأنماط بدورها على عناصر أخرى في الأداء البياني منها الترشيح والتجريد، وقد سار البحث فيهما لتقصي جمال التعبير القرآني إذا ما اعتمدنا التوسع في المعنى الدلالي للمشاهد والألفاظ على حدٍّ سواء. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

١. لم تكن ولادة المصطلحين حديثة، بل إنها نشأت ونمت مع نمو الدراسات القرآنية منذ مطلع القرن الرابع الهجري.
٢. وجد البحث أن التعبير الاستعاري القرآني يستند إلى الترشيح مقرونا بصيغ صرفية تدل على القلة أو الزيادة أو القوة أو الضعف.
٣. يمثل الترشيح عنصرا من عناصر الدلالة الفكرية أو المعنوية للوعيد؛ فهو يُثري السياق التعبيري بمستوى آخر من الإيحاء الذي يحول الملائمات في السياق الاستعاري إلى دلالات للتحول المجازي.
٤. يستند الترشيح إلى ملائمات تحاكي البيئة المعنوية للأشياء الصعبة أو اليسيرة إن صح المعنى ويصدق ذلك على اقتحام العقبة.
٥. وجد البحث أن للترشيح أثرا خاصا في التحول الدلالي؛ فهو يحرص على تصوير المشهد القرآني وتمثيله بأشياء دنيوية تكون قريبة من الحس والإدراك.
٦. يُحدث الترشيح تكاملا في الصورة الذهنية لدى المتلقي ويتواشج مع التشبيه الذي يعطي الصورة الاستعاريّة أبعاداً أُخر.
٧. يعمل التجريد على مستوى الجملة على تصوير المعنى الذهني ويزيد في تفصيلات الصور الحسية.
٨. يعمل التجريد على زيادة التخييل في تحقيق الاستعارة.

٩. قد يحصل التخلخل الدلالي بين الترشيح والتجريد في المعنى المجازي للصورة الاستعارية مما يزيد المعنى كثافة في التعبير وقوة في إيحاءات الصورة في سياق التعبير الاستعاري القرآني.

Abstract

"Tarsheeh" Intensification and "Tajreed" Abstraction in the Quranic Metaphors

Key words : intensify – rashaha

Prof . Dr : Ayaad Abdul-Wadood Othman

Master's degree student Ghassan Abd Khalaf

Diyala University / College of Education for the Humanities

The ancients found out methods of rhetoric and oratory showing the splendor of eloquence and the charm of speech so they classified and divided their patterns supporting them with the Glorious Quranic examples. Some of these examples pertained in metaphor as"Tarsheeh and Tajreed, intensification and abstraction "which appear in some of the first rhetoric books. So, the researcher follows a very bold step in investigating novel examples from the Glorious Quran based on a holistic vision of the contextual observation of semantics .In the prologue, the researcher refers to the process of intensifying and abstracting metaphor as the ancients refer to it. Then, the study has been divided into two chapters ,the first one deals with "Tarsheeh" "intensification in metaphor" referring to its verbal and contextual denotation ,beside to its denotative impact and its existence. The second chapter , deals with"Tajreed" "abstraction in metaphor" referring to its denotative transformation in sentences as well as in a single word. Finally, the results and data have been drawn from the researcher's contemplation in the Glorious Quranic Texts which include these two metaphoric expressions as influential elements participating in the Quranic expression and forming stylistic cohesion in . I ask Allah to help and guide.

الهوامش

١. مفتاح العلوم: ٣٨٥.

٢. المكان نفسه.

٣. تلخيص البيان: ١١٤.

٤. الكشاف: ١/٧٠.
٥. المصدر نفسه: ١/٧٠-٧١.
٦. مفتاح العلوم: ١٨٢.
٧. الاستعارة في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير): ٧٢.
٨. الكشاف: ٢ / ٦٣٨- ٦٣٩.
٩. ينظر: الكشاف: ٢ /٦٤٠.
١٠. مفتاح العلوم: ١ / ٣٨٥.
١١. التحرير والتنوير: ١/٤٦٣.
١٢. ينظر: الكشاف: ٤/٧٥٥.
١٣. التحرير والتنوير: ٣٠/٣٥٤.
١٤. ديوان امرئ القيس: ٤٣.
١٥. روح المعاني: ١٥/٣٥٢.
١٦. المكان نفسه.
١٧. ينظر: تفسير الطبري: ٢٤/٤٤٠.
١٨. التصوير المجازي: ١٤٦.
١٩. ينظر: التفسير الكبير: ٣٢/٢٦٥.
٢٠. ينظر: الكشاف: ٤/٧٩٠.
٢١. المشاهد في القرآن الكريم (قُنيبي): ١٨٤.
٢٢. التصوير المجازي: ١٤٠.
٢٣. ينظر:التفسير الكبير: ٢٢/١٩١.
٢٤. التصوير المجازي: ١٤٠.
٢٥. التصوير المجازي: ١٤٠.
٢٦. ينظر: التفسير الكبير: ٣٠/٥٩١.
٢٧. فتح البيان في مقاصد القرآن: ٨/٣٥٢.
٢٨. ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨/١٩٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- التصوير المجازي أنماط ودلالاته في مشاهد القيامة في القرآن، د. إياد عبد الودود عثمان الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م .

- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- التفسير الكبير- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .
- ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٨٤م .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الطاهر الشريف الرضي(ت٤٠٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤١٥هـ .
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد عاشور التونسي(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤م .
- فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي الحسيني النجاري القنّوجي(ت١٣٠٧هـ)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية ، د. حامد صادق قنيبي، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، ط١، ١٩٨٤م .

- رسالة ماجستير :

- الاستعارة في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان، بإشراف: د. جليل رشيد فالح، كلية الآداب – جامعة الموصل، ١٩٨٨م .